

عوامل تغير الصوت العربي دراسة في منجز "أصوات العربية بين التحول والثبات لحسام سعيد النعيمي"

Factors of Change of Arab Voice Study in the achievement of "Arab Voices between Transformation and Fortitude of Hasam Said Al-Naimi"

عماد نوازي¹ فتيحة جبال²

¹ جامعة تيارت (الجزائر)، imad.nouari@univ-tiaret.dz

² جامعة تيارت (الجزائر)، fatiha.djebali@univ-tiaret.dz

(مخبر الدراسات النحوية واللغوية بين التراث والحداثة في الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2024-08-11 تاريخ القبول: 2024-11-15 تاريخ النشر: 2024-12-19

ملخص البحث

يُفجّر هذا البحث عدّة قضايا هامة تتعلق بتشخيص أسباب التغير في الأصوات العربية من خلال كتاب الأصوات العربية بين التحول والثبات لحسام سعيد النعيمي - وهي مبنوثة بطريقة غير مباشرة في الكتاب - وقد رجحنا عوامل تحول الأصوات إلى كثرة الدراسات الصوتية ولاسيما أنّ البعثة اهتموا بكثرة المصطلحات بدل التشخيص الفعلي للأصوات وتقييدها كما هي، وتعدد اللهجات عامل آخر ساهم بشكل مباشر في تغير الأصوات العربية وخاصة أن كل لهجة تسعى لبسط أصواتها من أجل أن تصبح لغة، وحتى اتساع الرقعة الجغرافية العربية وتمازج العرب مع الأجناس الأخرى كان له نصيب من فرض التغير الصوتي، كما لم تسلم اللغة العربية من موجة الطعن في أصواتها من طرف بعض المستشرقين ففتح المجال لمحاولة التغير في الأصوات العربية فكان أحد العوامل التي أثرت في الصوت العربي. أضف إلى ذلك إشكالية الترميز العالمي وبأي لغة يكتب وكيف ينطق؟ من أبرز العوامل التي حاولت التغير في الأصوات العربية.

كلمات مفتاحية: الأصوات العربية، الدراسات الصوتية، المستشرقون، الترميز العالمي، اللهجات.

المؤلف المرسل: عماد نوازي، فتيحة جبال

Abstract:

This research explores several important issues related to the diagnosis of the causes of change in Arab voices through the book Arabic Voices Between Transformation and Persistence by Hasam Said Al-Naimi - indirectly broadcast in the book - We have weighed the factors of the conversion of voices to the abundance of sound studies, especially since research has been concerned with the abundance of terminology rather than the actual diagnosis and restriction of sounds as they are and the multiplicity of dialects is another factor that has contributed directly to the change of Arab voices, especially since each dialect seeks to extend its voices in order to become a language, Even the expansion of the Arab geographical area and the blending of Arabs with other races had a share of imposing vocal change. And Arabic was not spared the wave of challenging its voices by some orientalists. It opened the way to try to change Arab voices. It was one of the factors that influenced the Arab voice. Add to this the problem of universal coding and in what language is it written and pronounced? One of the most prominent factors that attempted to change Arab voices.

Keywords: Arabic sounds, phonetic studies, orientalists , universal coding, dialects.

1. مقدمة:

شغل مبحث الأصوات العربية اهتمام الباحثين على مرّ العصور الزمنية المتعاقبة، فقد بدأ البحث فيه حفاظاً على الصوت القرآني المقدس خوفاً عليه من اللحن والخطأ، ثمّ توالى الكتابة فيه -مبحث الصوت- بحثاً في أسباب حدوثه وتشكله والذي جرّ كثيراً من الأقلام في التخصص وغيره فتعرّضت له كتب اللغة التي كانت بمثابة الصوت الذي ردّد صده فيما بعد جل الدراسات الصوتية كمؤلفات الإعجاز ومدونات علم التجويد وكتب البلاغة وبحوث الفلسفة والطب، ولعل كثرة هذه الدراسات ولاسيما دراسة المستشرقين للصوت العربي ساهمت بشكل مباشر وغير مباشر في دراسة الظاهرة الصوتية وذلك من خلال اختلافهم في كثير من المرات في تحديد مخارج الحرف وصفاته، ممّا جعله قابلاً للتغيير.

كما كان حظّ اللهجات المتعددة في شبه الجزيرة العربية الأثر البالغ في تحول الصوت العربي وخاصة أن اللهجات ما هي إلا لغة متغيرة صوتياً، وامتزاج العرب مع غيرهم من الأمم التي تنطق أصوات مغايرة للصوت العربي يحمل بوادر التغيير الأصوات العربية والتي وجدت نفسها ملزمة في العصر

الحديث بأن يكون لها ترميز عالمي شأنها شأن اللغات الأخرى فطُرحت إشكالية الترميز العالمي في اللغة العربية فهناك من تبني كتابتها بالخط اللاتيني وهناك من قدم ترميز خاص بها وهناك من حاول الجمع بينهما وفي خضم هذا الصراع وتأثيراته، ظهرت ملامح التأثير والتغير في بعض الأصوات العربية عن طبيعتها.

وفي هذا السياق جاءت دراستنا الموسومة ب: "عوامل تغير الصوت العربي دراسة في منجز أصوات العربية بين التحول والثبات لحسام سعيد النعيمي" تميّط اللثام عن أهم العوامل التي أدت بتغير الصوت العربي عن جذوته الأصلية. التي تعرّض لها حسام سعيد النعيمي بطريقة مباشرة وغير مباشرة، هذه الدراسة بمثابة شرح وتحليل لمضمون الكتاب الذي يحمل بين أسطوره كثير من الملامح التي لم يستطع صاحب الكتاب الشرح فيها بطريقة مباشرة، فحاولنا رصد هذه العوامل وتبيين تأثيراتها والرؤيا الاستشرافية التي قدمها النعيمي لما ستكون عليه أصوات العربية مستقبلا.

وقد صغنا إشكالية البحث بما يتناسب ومضمون الكتاب وجاءت كالآتي: إلى أي مدى وفق الكاتب في رصد عوامل التغير الصوتي في اللغة العربية ؟ وهل أثرت هذه العوامل حقيقة على الظاهرة الصوتية العربية ؟

الفرضيات:

- تأثر الصوت العربي بعدة متغيرات كاللهجات ، تعدد الدراسات، الترميز العالمي.
- لم يتأثر الصوت العربي على مرّ الحقب الزمنية بأي عوامل مباشرة وغير مباشرة.
- لم يوفق صاحب الكتاب في رصد كل العوامل التي أثرت في تغير الصوت العربي.

2.التعريف بالكتاب:

عنوان الكتاب أصوات العربية بين التحول والثبات يضم مقدمة تمهيدية عن موضوع الأصوات العربية عموما وعن بعض التغيرات التي طرأت عليها، كما يضم الكتاب ثلاثة فصول الفصل الأول موسوم ب: "التحول والثبات في أصوات العربية والفصل الثاني عنوانه ب: "أصوات العربية واقعها ومستقبلها" والفصل الثالث قد أفرده بعنوان "الكتابة الصوتية " وفي هذه الفصول الثلاثة يحاول الكاتب إبراز بطريقة ما العوامل التي أدت إلى تغير الأصوات العربية من خلال تشخيص هذه العوامل والتي حصرناها في عدّة مباحث رئيسة نذكر منها:

-تعدد الدراسات للصوت للعربي: وفي هذا المبحث نتعرض لأهم الدراسات التي درست الصوت العربي سواء تلك الدراسات المختصة أو التي كانت دخيلة على مجال الاختصاص ونذكر تأثيراتها.

- كثرة اللهجات العربية: وهنا نشير للثروة اللغوية الغوية للصوت العربي مما مكنه من التغير وذلك بسبب أن كل لهجة تريد بسط نفوذها لكي تصبح لغة قائمة بذاتها.

الكتابة الصوتية العالمية وتأثيراتها: تطرح إشكالية الكتابة الصوتية جدلا واسعا بخصوص كتابة الصوت العربي وخاصة بصيغتها الحالية التي نرى فيها تغيرات صوتية.

الكاتب من خلال فصل أصوات العربية واقعها ومستقبلها يقدم رؤيا استشرافية إلى ماستكون عليه الأصوات العربية مستقبلا وهل ستبقى حاملة لرياح التغير أم أن الثبات والاستقرار يحكمها؟

عالج الكاتب هذه المتغيرات في كتاب يضم حوالي 112 صفحة الصادر عن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - جامعة بغداد والدكتور حسام سعيد النعيمي أستاذ اللغويات بنفس الجامعة.

3 عوامل تغير الصوت العربي:

تعددت عوامل تغير الصوت العربي صوتيا سواء في تحديد مخارج بعض الأصوات ومرة أخرى في اختلاف الصفات لبعض الحروف وهذا نتيجة لعدة متغيرات نذكر منها:

3,1 عوامل تغير الصوت العربي من الجانب النظري:

الاختلاف في الدراسات الصوتية:

في الفصل الأول من الكتاب قدم لنا الكاتب تحت عنوان "الدراسة الصوتية" النماذج الأولى التي كان لها فضل السبق في دراسة الصوت العربي، بداية بجهود الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه معتبرا إياهم بمثابة الصوت الحقيقي للدراسة الصوتية، والذين أتوا من بعدهم ما هم إلا صدى رددوه ، فقد اشتغلا على تحديد المخارج والصفات وعدّ أصوات العربية وفي هذا الصدد يقول : "وكان من أوائل من عني بالكلام على أصوات العربية علماء اللغة والنحو فالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175) ذكر في أول كتاب العين صفات الحروف ومخارجها وعددا من القوانين المتعلقة بها"¹.

فالخليل في دراسته للصوت العربي استخدم عدّة مصطلحات صوتية مثل مصطلح الأحياز ومصطلح المدارج ومصطلح الحروف الصراح وحروف الجوف وفي هذا السياق يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: "... في العربية تسعة وعشرون حرفاً صراحاً لها أحياز ومدارج وأربعة أحرف جوف وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة"².

يُميز الخليل بين الحروف الصحيحة وحروف الجوف عن طريق تنظيمها في أحواز ومدارج فالحروف الصراح لها أحواز ومدارج خاصة بها أما الجوفاء فليس لها مدارج وأحواز وإنما تنسب طواعية للجوف لأنها حروف هوائية قابلة للتغير. فمصطلحي المدارج والأحياز التي تدل على معاني مخرج الحرف لكن هل استعملهما الخليل مصطلح الأدراج مرادف لمصطلح الأحياز للدلالة على المخرج أم له قصدية أخرى بمصطلح المدارج ؟

إننا نعتقد أن مصطلح المدارج هو ما يطلق عليه صفات الحرف فالأحياز فيما فهمناه الحيز أو المكان الذي يخرج منه الحرف أم المدارج فهي الصفات التي يكتسبها الحرف وهو يتدرج في خروجه من جهر وهمس وشدة ورخاوة ... ثمّ يقدّم لنا الفراهيدي مصطلح آخر وهو مصطلح المبدأ والذي يقصد به المنشأ الذي يخرج منه الحرف في البدايات الأولى له يقول عن مبدأ بعض الحروف: "الطاء والذال، والثاء لثوثة لأن مبدأها اللثة"³.

وإذا أردنا أن نناقش ذلك التعدد المصطلحي لمصطلح "المخرج" فإننا نجد تلك الفوضى المصطلحية التي أثرت سلباً على الدراسة الصوتية عموماً وعلى مخارج الحروف خصوصاً فسيبويه مثلاً يستخدم مصطلح المخرج بدل مصطلح المبدأ والمدارج، والأحياز، وذيع هذا المصطلح في الدراسات الصوتية بعد سيبويه يقول سيبويه متحدثاً عن النون الخفيفة: "وتكون مع سائر حروف الفم حرفاً خفيفاً مخرجه من الخياشيم"⁴، ولعل مصطلح المخرج مناسب في وضعه لأنه يتناسب أولاً مع شروط المصطلح وثانياً لأنه يدل على المقصود بدقة.

إن تعدد المصطلحات لمفهوم واحد وتبني كل بحث لمصطلح معين خاص أفقد الدراسة الصوتية العربية جوهرها الذي ترمي إليه وهو البحث في خصائص الأصوات العربية والمحافظة عليه من خلال وصف المخارج والصفات بدقة متناهية لذلك، ولهذا نشب الخلاف حول مخارج الحروف وعددها فهناك من رأى أن مخارج الحروف سبعة عشر مخرجا وهو ما رجّحه الخليل وابن الجزري وثلة من علماء

الأصوات يقول ابن الجزري: "أما مخارج الحروف فقد اختلفوا في عددها فالصحيح المختار عندنا وعند من تقدمنا منَ المحققين كالخليل بن أحمد ومكي بن أبي طالب... وغيرهم سبعة عشر مخرجاً"⁵. هل صحيح يقر الخليل بسبعة عشر مخرجاً؟

إنَّ الخليل يَضم حروف العربية التسعة وعشرون في أحياز لا تزيد عن الثمانية وفي هذا الصدد يقول الباحث خليل إبراهيم عطية: "وهي عند الخليل في مقدمة العين ثمانية"⁶.

هذا الاختلاف الجاري في تحديد مخارج الحروف أثر على التغيرات التي تحدث للصوت العربي فالاختلاف في المخارج يؤدي إلى عدم الاتفاق على مخارج بعض الحروف ممّا يجعلها تنتقل بين المخارج وكل مَرّة تنسب إلى مخرج وبذلك يحدث تغير للحرف الذي لم تتحد معالمة الصوتية بعد فهناك عدّة أحرف ظهر الخلاف واضحا في تحديد مخرجها فمثلا يختلف الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه في تحديد الأصوات التي تخرج من الشفتين فيرى الخليل أنهما حرفين (ب.م) أما سيبويه فيعتقد أنها ثلاثة أحرف (ب.م.و) إذا كان الواو حرفاً غير شفوي عند الخليل ويصدر من الجوف شرط أن تكون هذه الواو غير الواو المتحركة أو الواو اللينة اللتان تصدران ما بين الشفتين.

أما سيبويه فيعتبر الواو شفوياً في كل الحالات الملازمة له. وفي هذا الصدد يقول سعيد حسام النعيمي: "الواو كما ذكر الدكتور السعران حرف شفوي حنكي قصي... أما عند القدامى فهي عندهم كما ذكر سيبويه وتابعه علماء العربية من الحروف الشفوية"⁷. وإذا كان بعض المحدثين والقدماء اتفقوا على شفوية الواو فإن الكاتب يقدم لنا رؤيا أخرى من بعض المحدثين على أنها حنكية تصدر من الحنك ويرجح النعيمي أنها حرف تجمع بين الحنك والشفاه وهذا ما ذهب إليه جمهور الباحثين المعاصرين.

إنَّ هذا الصراع في تحديد مخارج الحروف يجعلها قابلة للتغير بعد فترات زمنية لأنّ الضابط الصوتي غير موجود. ويقدم لنا النعيمي نموذجاً عن التغير الصوتي لصفات بعض الحروف ويقدم لنا قول المستشرق الألماني بيراجستراسير Bergstrasser في كتابه التطور النحوي للغة العربية الذي قام بترجمته الباحث العربي رمضان عبد التواب نموذجاً: "...أن بعض الحروف يختلف نطقه الحالي عنه في الزمان القديم وهي: ق. ج. ط. ض. ظ. أما القاف فهي في العادة اليوم مهموسة لكنها في الجدول مجهورة، كما هي الآن عن بعض البدو"⁸.

إننا نميل إلى رأي القدامى في صفة حرف القاف أنه مجهور لأنه يمتاز بالقوة أثناء النطق به وخير دليل على ذلك لو أضفت له مثل ما فعل الخليل تضيف له همزة وتنطقه ساكن أق لظهر مجهوراً في نطقه كما أنّ الألفاظ التي يكون فيها تستدعي غالباً أن نطقه مجهوراً.

الدراسات الاستشرقية ودورها في التغيرات الصوتية:

بحث المستشرقون في اللغة العربية بحثاً مستفيضاً وخاصة أنهم فجّروا عدّة قضايا تخص اللغة ولا سيما حين فتحوا أعينهم على التراث اللغوي العربي، ولعل الجانب الصوتي أحد القضايا التي خاض فيها المستشرقون أمثال براجستراسير Bergstrasser... ولعل القضايا الصوتية التي طرحها هؤلاء تجعلنا نطرح سؤالاً بريئاً ماهي أهداف الدراسة الاستشرقية للأصوات العربية وماهي تأثيراتها؟

ومن بين القضايا التي طرحها المستشرق الألماني براجستراسير Bergstrasser قضية حرف الجيم التي تعرّض لها القدماء بتحديد مخرجها وصفتها والكيفيات التي ينطق بها نطقاً صحيحاً فقد وجدوا في الجيم نبرة من صوت الشين ولعلّ حسام سعيد النعيمي في كتابه هذا يصطلح عليها بما هو مشهور الميم المعطشة "وأول من استخدمه هو المستشرق الألماني براجستراسير Bergstrasser مُشبهاً إيّاها بالصوت الفرنسية⁹، ولكن هل الجيم المعطشة حقيقة هي نفس الصوت الفرنسي؟ إنّ النطق يختلف اختلافاً بين الجيم التي أُشربت شين¹⁰ وبين الصوت الفرنسي السابق ولا وجود لحالة تشابه بين الحرفين في حالة النطق بهما فلكل صوت خصوصيته من مخرج يخرج منه وصفة تلازمه.

يُقدّم لنا المستشرق الألماني براجستراسير Bergstrasser عدة أصوات قد مستها ريتّاح التغير ولم تعد تنطق كما كانت تنطق عند القدماء وهذه الأصوات أصابها التغير خصوصاً في صفة الحرف لا مخرجه وينقل لنا حسام سعيد النعيمي قولاً لبراجستراسير Bergstrasser: "...إن بعض الحروف يختلف نطقه الحالي عنه في الزمان القديم وهي: ق. ج. ط. ض. ظ"¹⁰ هذا الحكم العام لا يمكننا تعميمه على كامل كلام العرب فقد تكلمنا سابقاً أن المدونة الأدبية قد قيدت أصواتها ولم يمسه التغير إلا نادراً ما تسلل إليها من اللهجات، كما أن أصوات القرآن الكريم لم تتغير فقد حرص علماء التجويد عبر مرّ العصور الزمنية على النقل الصحيح لها بالقراءة المتواترة شفها وضبط أصوات النطق في القرآن الكريم عبر مدونات علم التجويد. فالقاف مثلاً التي قرأ بها القدماء القرآن الكريم نفسها القاف التي يُقرأ بها القرآن الكريم اليوم. وعن حرف القاف يقول براجستراسير

Bergstrasser: "أما القاف فهي في العادة اليوم مهموسة لكنها في الجدول مجهورة كما هي الآن عن بعض البدو" إذا كان هناك اختلاف صوتي في حرف القاف بين القدماء والمحدثين فقد يكون في اللغة العامية المتداولة بين الناس أما أصوات اللغة الأدبية وأصوات القرآن الكريم فواهم من ظنها أنها تغيرت.

ويطعن المستشرق الألماني براجستراسير Bergstrasser فيها مرة أخرى في أصوات العربية فيقول عن حرف الطاء: "ونطق الطاء العتيق قد انمحي وتلاشى تماما"¹¹ هنا نطرح تساؤلاً أي القرائن التي استند إليها في حكمه هذا؟ هل الطاء التي نطقها اليوم في لغتنا الأدبية غير الطاء التي لهج بها القدماء؟ هل الطاء التي نقرأ بها القرآن الكريم هي غير الطاء التي قرأ بها القدماء؟ كما وضحنا سابقاً أن أصوات اللغة الأدبية لم تتأثر بأي عامل من العوامل التي قد تقود إلى تغير الأصوات لأنها كانت مقيدة والدليل على ذلك أن كل الدول العربية إذا تكلموا بنص فصيح نطقوه جميعاً بنفس الصوت والقرآن الكريم أيضاً لم تتغير أصواته مع الإشارة في اختلاف القراءات في بعض الأصوات ولكن الغالب فيه أنه صوت واحد.

يبدو أن المستشرقين خلال دراستهم للأصوات العربية وتحديثهم عن التغيرات الصوتية التي حدثت في مسار اللغة العربية كان دراسة اللهجات أو اللهجة العامية المتداولة في المجتمع لأن اللغة الفصيحة الأدبية لم تتغير أصواتها إلا نادراً وهي المدونة التي نرجع إليها في كل مرة لكن الأحكام التي أطلقها المستشرق الألماني بيراجستراسير Bergstrasser أحكام عامة فلم يفصل بين العامي والفصحى أولاً وثانياً كيف يفسر لنا إجماع قراء القرآن الكريم على صوت واحد. من عصر نزول القرآن إلى يومنا هذا؟

2.3 عوامل تغير الصوت العربي تطبيقياً:

الاختلاف في اللهجات والمستوى الصوتي:

في الفصل الثاني المعنون ب: "أصوات العربية واقعها ومستقبلها" يقدم لنا الكاتب تشخيص فعلي للأصوات العربية ما هي عليه مع تقديم رؤيا استشرافية لما ستكون عليه الأصوات العربية مستقبلاً، فالصوت العربي كغيره من الأنظمة الصوتية في اللغات الأخرى فهو يقبل التغير وينمو ويخمد حسب الاستعمال له، ولعل المستوى الصوتي العربي يُميز بين مستوى الصوتيات الأدبية التي تستعمل

في التدوين والخطابات والكتابة العلمية وبين الصوتيات المتداولة في أوساط المجتمع والتي نطلق عليها اللهجات وفي هذا الصدد يقول حسام سعيد النعيمي: "يَبْدُ أنها انفردت بخصوصية لا ينبغي إغفالها، وهي تقييد أصواتها على ما هي عليه في لغة الأدب يوم كانت العربية متداولة في البيوت والأسواق"¹².

إذا كانت أصوات اللغة الأدبية مقيدة ولم يمسهما التغير فبماذا نُبرر تغير بعض الأصوات فيها؟ ومحاولة بعض اللهجات بسط نفوذها الصوتية على اللغة الأدبية ونحن نعلم أن بعض اللهجات كان لها تأثيراً على اللغة الأدبية في كثير من الأحيان ولاسيما إذا كانت بعض اللهجات تتطلع إلى فرض نظامها الصوتي في الواقع اللغوي.

وإذا عدنا إلى تاريخنا نجد ذلك التباين الصوتي بين اللهجات العربية قد أخذ حيزاً لا بأس به من الدراسة ونكاد نُجزم أن الخلاف بين القبائل العربية في اللغة هو اختلاف صوتي لا أقل ولا أكثر وهذا الاختلاف راجع أساساً لمخرج الحرف أو صفته وهذا هو مدار الاختلاف وفي هذا الصدد يقول الباحث سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي: "ومن أهم التغيرات التي طرأت على اللغة التغير في حروفها (أصواتها) إذ أنّ التغير يؤدي إلى انقسام اللغة إلى لهجات ثم تتطور حتى تصبح لغات"¹³. ويورد لنا حسام سعيد النعيمي نموذجاً عن التغير الصوتي في اللهجات العربية المنتشرة بين القبائل: "فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف بالكاف حتى تغلظ جيداً فيقولون: القيوم فتكون بين الكاف والقاف وهذه لغة تميم"¹⁴.

إنّ العلاقة بين اللغة واللهجات علاقة عكسية فقد تفرض بعض اللهجات قانونها الصوتي في الاستعمال فتصبح لغة لها نظامها الصوتي في حين يمكن لبعض اللغات أن تنزل لمستوى اللهجة إذا كان نظامها الصوتي وبنيتها عسير في النطق وصعب لم تستطع أن تفرضه في الاستعمال، ونحن نعلم أنّ اللغة تنح إلى السهولة في النطق وتنفّر من التعقيد ولاسيما ما يتعلق بالصوت.

تمازج اللغة العربية مع اللغات الأجنبية وتأثيره على الصوت العربي:

بقيت اللغة لأدبية ثابتة إلى أن امتزجت بالأجنبية بعد توسع الرقعة الجغرافية العربية وكذلك الاستعماريات المتعاقبة على بعض البلدان العربية كالفرنسيين والانجليز وغيرهم. ممّا جعل تأثيرها بيئياً واضحاً أدى إلى عدة تغيرات صوتية على مستوى:

- واقع الاستعمال الفصيح: أي أن هذا التغير الصوتي يكون على مستوى الاستعمال اليومي للفصيح سواء في تلك الخطابات الرسمية التي تُنتجها أو ما نعتقد أنه فصيح في خطابتنا اليومية . وينقل لنا حسام سعيد النعيمي قولاً لمحمد الأنطاكي: "والبنات اللواتي يتلقين العلم في المدارس الأجنبية تسمعهم ينطقون كلمة (صالح) فتظنهم يقولون (سالح)"¹⁵ يظهر من خلال هذا القول أنّ التمازج بين الثقافة العربية والأجنبية بدا واضحاً من خلال تغير حرف "الصاد" "سيناً" وتأثر البنات لعربيات بالأصوات الأجنبية. ومثال آخر قولهن عن الطاء وإبدالها تاء تشبه نطقاً التاء الأجنبية "يقلن تيبب بدلاً من طيبب"¹⁶ .

يُحمل الكاتب شريحة معينة من المجتمع في تورطها في تغيير الصوت العربي وهنا نطرح تساؤلاً لماذا يضبط خص البنات بهذا التغير الذي أحدثوه في الأصوات العربية وتأثرهم بالصوت الأجنبي على حساب الصوت العربي؟ يبدو من خلال النماذج السابقة التي قدمناها أن البنات قد مالت إلى الحروف التي فيها سهولة في النطق وليونة ونلاحظ اليوم في مجتمعنا نحن بعض المتعلمات في الجامعات وخاصة طالبات اللغات الأجنبية يقلن مثلاً لكلمة عين "عين أميناس" "ain" ونحن نعلم أن صوت العين أقوى الأصوات لذلك حاولن تخلي عنه ونطقه بالفرنسية.

-فيما يتوقع في مستقبل الاستعمال الفصيح: هنا نطرح سؤالاً في غاية الأهمية كيف ستكون أصوات العربية بعد عقود من الزمن وهل يبقى التغير في كل مرة يلحق بأصواتها؟ أم أنها ستركن للثبات والعودة إلى نظام صوتها الذي تغير في بعض الأحيان؟ إن العودة إلى نطق بعض الحروف كما كانت عليه في القديم أمر صعب ولاسيما أن المجتمع قد ألف الأصوات المستحدثة كما فقد أصل نطق هذه الحروف التي كان القدامى قد نطقوا بها: "ليس لدينا من دليل يوضح لنا كيف ينطق بالجييم بين فصحاء العرب لأنها تطورت تطوراً كبيراً في اللهجات العربية الحديثة"¹⁷. والقاعدة التي نحتكم إليها في ضبط الأصوات مستقبلاً هي موافقة الأصوات العربية نطقاً للنطق القرآني الكريم لأن علماً التجويد نقلوا لنا الأصوات كما هي وكان هذا النقل متواتراً دون انقطاع، لكن هذه القاعدة كيف نطبقها؟ ونحن نعلم أنّ القرآن الكريم نزل بعدة لهجات تختلف في كثير من الأحيان صوتاً.

الكتابة الصوتية العالمية وملامح التغير في الصوت العربي:

خصص صاحب الكتاب -حسام سعيد النعيمي- فصلاً كاملاً للحديث عن إشكالية الكتابة

الصوتية، والمائز في هذه الدراسة أنّ الكاتب طرح آراءً سابقة ثمّ خلّص إلى نموذج من ابتكاره فلعّل أهم إشكالية تطرق إليها الكتابة الصوتية للحرف العربي بالحرف الروماني والعوائق التي واجهته وخصوصاً ونحن نعلم أنّ لكل نظام لغوي خصوصيته التي تميزه عن غيره وفي هذا الصدد يقول: "ونحن لانريد أن نغير الرموز الصوتية الدولية وأنّ نستبدلها رموزاً من عند أنفسنا، إلا أننا في الوقت نفسه لا نريد أن نُقرّ استعمال رموز رومانية لأصوات لعلّ العربية قد اختصت بها".¹⁸ ويبرر سعيد النعيمي عن تغير الأصوات في الكتابة الصوتية العالمية للحرف العربي بأنها لم تهتم بخصوصية الصوت العربي نظراً ولا سيما ذلك الخلط بين اللهجات في كتابة الأصوات العربية يقول موضحاً هذه الإشكالية من خلال تقديم نموذج فيه محاولة تغيير صوتي: "...وحيثما أرادت أن ترمز إلى الضاد/ض/الظاء/ظ/العريبتين رُمزت إليهما بناء على النطق اللهجي المصري ... زاي مفخمة فرمزت لها بالرمز / z /"¹⁹ هنا نشير إلى التداخل الذي حدث في نطق الضاد والظاء فبدل أن تكتب بما ينطق من الفصحى بلهجة معينة وهذا ما يتنافى مع قواعد الكتابة الصوتية العالمية.

4. خاتمة:

وفي خاتمة البحث يمكن أن نخلص إلى نتائج الآتية:

- كتاب أصوات العربية بين التحول والثبات من أهم الكتب التي عالجت مشكلة تغير الأصوات العربية .
- طريقة الكاتب في التطرق إلى مشكلة التحول في الأصوات العربية طريقة غير مباشرة .
- من العوامل التي حاولنا رصدها في الكتاب وارتأينا أنها عوامل أثّرت بشكل مباشر في تحول الصوت العربي هي : تعدد الكتابة في مجال الأصوات سواء من المتخصصين أو غيرهم، تنوع اللهجات في شبه الجزيرة العربية ولا سيما أنّ هذا التنوع هو تنوع صوتي عموماً، والهجمات العنيفة وغير البريئة لبعض المستشرقين في دراسة الأصوات العربية، وإشكالية الكتابة الصوتية العربية .
- التغير الصوتي الذي حدث لم يكن على مستوى اللغة الأدبية المقيدة أو على مستوى النصّ القرآني بل كان على مستوى اللغة المتداولة.

توصيات :

ومن مجمل التوصيات التي يمكن أن نطرحها:

- تخصيص دراسة موسعة لدراسة التغير في الصوت العربي مع رصد العوامل المؤثرة لذلك.
 - دراسة معمّقة لأعمال المستشرقين وخاصة قضية التغير الصوتي.
 - دراسة استشرافية لما ستكون عليه أصوات العربية في ظل التداخل اللغوي بين اللغات .
 - وضع تنميط عالمي للصوت العربي بحيث يحافظ هذا التنميط على خصوصية الصوت العربي.
- 5.الهوامش:

- ¹-حسام سعيد النعيمي، أصوات العربية بين التحول والثبات، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة بغداد، دت، ص07.
- ²-الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط01، 1988، ص58.
- ³-الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مكتبة لبنان، ناشرون، ط01، 2004، ص58.
- ⁴-أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، مكتبة الخانجي القاهرة، د.ط، ص415.
- ⁵-أبو الخير محمد بن ممد الدمشقي ابن الجزري النشر في القراءات العشر، مطبعة مصطفى محمد مصر، د.ت، ص198.
- ⁶-خليل ابراهيم عطية، في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر بغداد1983، ص24.
- ⁷-حسام سعيد النعيمي، المرجع السابق، ص22.
- ⁸-حسام سعيد النعيمي، المرجع السابق، ص25.
- ⁹ينظر:حسام سعيد النعيمي المرجع السابق، ص64.
- ¹⁰-حسام سعيد النعيمي، المرجع نفسه، ص25.
- ¹¹-حسام سعيد النعيمي، المرجع نفسه، ص26.
- ¹²-حسام سعيد النعيمي، المرجع نفسه، ص42.
- ¹³-سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي، ابدال الحروف في اللهجات العربية مكتبة الغرباء الأثرية ط01، 1995، ص09-10.
- ¹⁴-حسام سعيد النعيمي، المرجع السابق، ص25.
- ¹⁵-حسام سعيد النعيمي، المرجع السابق، ص48.
- ¹⁶-حسام سعيد النعيمي، المرجع نفسه، ص48.
- ¹⁷--حسام سعيد النعيمي، المرجع نفسه، ص63.
- ¹⁸-حسام سعيد النعيمي، المرجع السابق، ص09.
- ¹⁹-حسام سعيد النعيمي، المرجع السابق، ص92.

6.قائمة المصادر والمراجع:

1. حسام سعيد النعيمي، أصوات العربية بين التحول والثبات، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة بغداد ، دت.
2. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ، لبنان، ط1، 1988.
3. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، مكتبة الخانجي القاهرة.
4. أبو الخير محمد بن ممد الدمشقي ابن الجزري النشر في القراءات العشر .
5. خليل إبراهيم عطية، في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر بغداد 1983.
6. سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي، ابدال الحروف في اللهجات العربية مكتبة الغرباء الأثرية 1995.
7. الخليل بن احمد الفراهيدي- كتاب العين- مكتبة لبنان- ناشرون، 2004.